الأزمة الأسرية بين التحكم والانهيار

أ. د دريد فطيمـــة
جامعـــة باتنة 1(الجزائر)

Abstract :

In this paper we try to highli ght the characteristics of the family as the first institution of socialization, composed of the husband of the wife and a certain number of children ; The attitudes are formed and the objectives are set in a climate of confidence, security and stability. As a result of economic and social changes, roles and postitions have evolved resulting in contradictory responsibilities within the family giving what is called the family crisis. The latter brings about the refusal of collaboration leading to the disintegration of the family where the ultimate solution will be divorce, which will inevitably lead to the disintegration and collapse of the family.

ملخص:

نحاول في هذه الورقة أن نبرز ملامح الأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية على أساس أنها تتكون مـــن الزوج والزوجة وعدد معين من الأطفال حيث تتحد فيها المواقف وتتوحد الغايات في ظل الطمأنينة، الأمان والاستقرار، وفي ظل تحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تغيرت فيها الأدوار والمكانات تضاربت المسؤوليات وتراجعت داخل الأسرة ونتج عن ذلك ما يسمى بالأزمة الأسرية التي تحمل في طياتها رفض التعاون واللجوء إلى الشجار والصراع، ومنها يتمزق نسيج الأسرة ممـــا يؤدي إلى انهيار مقوماتها مما يحدث عن ذلك الطلاق الذي لا محال يؤدي إلى تفكك الأسرة واضمحلالها.

مقدمة:

تعتبر الأسرة هي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وهي المهد الأول الذي يترعرع فيه الطفل مـــع جماعتـــه الصغيرة، حيث يبدأ منها التطور في وسطه الطبيعي، إذ تتكون من الزوج والزوجة وعدد من الأطفال وتعتبر نسق لـــه بناء وأن مشاعر أفرادها تتفاعل وتتحد أمزحتهم وتتفق مواقفهم وتتوحد غاياتهم نحو مقومات صلبة تحكم هـــذا النســـق، حيث أن الطفل فيها يحس بالطمأنينة والأمان، ويبدأ نموه يبرز من خلال تفاعله معها في إطار ثقافـــة معينـــة، ومنهـــا يتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التكيف مع المجتمع الخارجي، يعيش في أحضان أسرته ويتفاعل مع مجتمعه الذي ينتمي إليه، ومع مفهوم التغير الاجتماعي الذي ينتج عنه تغير الأدوار والمكانات في الأسرة وتختلـــف المسؤوليات وتتضارب بعدما كانت في وقت مضى حكر على الرجل وحده، ظهر خروج المرأة إلى ميدان العمل وتعدد أدوارها واضطرب انشغالها عن مسؤوليات الأسرة، وظهر ما يسمى بعدم التوافق الثقافي بين الزوجين، وتفـــتح أفـــراد الأسرة على كل ما هو تكنولوجي وكل ما تحمله كل وسيلة اتصالية من مواد استهلاكية كمـــا عبـــر عنهـــا مارشـــال ماكلوهان، وما يقابل كل وسيلة تكنولوجية من متطلبات مادية للتوفير، إضافة إلى تراجع القيم داخل الأسرة، وكذا تأثير الأهل والمجتمع القريب مما أثر سلبا على استقرارها، وأثر على بناءها ووظيفتها، ومنها برز ما يسمى بالأزمة الأسرية وتمزق نسيج الأدوار الاجتماعية، وخاصة إذا أخفق فرد أو أكثر في القيام بالدور المناط به، وهو عبارة عـــن رفـــض التعاون بين أفراد الأسرة والصراع بينهم والذي ينتج عن كثير من المشكلات التي تحدث داخلها وذلك نوعزه إلى عـــدم توافر المقومات الأساسية لمعيشة الأسرة بل إهمالها أحيانا وعدم الاكتراث بها، ومن هذا المنطلـــق ارتأينـــا فـــي هـــذه الدراسة الإجابة عن التساؤل التالي: كيف تبنى مقومات الأسرة وكيف تنهار؟ وكيف يكون الطلاق كمظهر من مظـــاهر التفكك الأسري؟

الأسرة: ما دامت الأسرة هي ذلك البناء الاجتماعي الذي يتكون من الوالدين والأبناء، والذين تترتب عليهم واجبات والالتزامات في كل مناحي الحياة منها الاقتصادية، الاجتماعية وغيرها.

ولها مجموعة من المعايير والقيم التي تحددها، وضغوط اجتماعية تفرض لطاعة هذه القيم، على اعتبار أنها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تحافظ بقدر الإمكان على النوع الإنساني وتحافظ على ما يقتضيه الحال على العادات والتعاون والتكافل، وتلك الديمومة بين الزوجين. وبالتالي يؤكد لنا محمد عبد الهادي دكلة في كتابه المجتمع الريفي على أن الأسرة هي مجموعة اجتماعية تضم مجموعة أشخاص (اثنين أو أكثر تربطهم علاقة)، علاقة زواجية أو قرابية يقطنون مسكنا واحدا يتفاعلون مع بعض من أجل تحقيق وظائف اجتماعية معينة وتحكمهم علاقات اجتماعية بينهم وبين أعضاء المجتمع من جهة أخرى[1]. هذه العلاقات الاجتماعية تكون متينة تتمثل في العاطفة والود بين الآباء والأبناء، حيث يسود بينهم الانسجام والتعاون، وذلك بالقيام بأدوار بين أفرادها مع مراعاة مكانة كل فرد فيها[2]. وذلك يكون في جو من الاحترام والأخلاق واكتساب القيم الايجابية التي يكتسبها الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتي تعتبر أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة والتي تعتبر أول مجال لتنشئة الطفل وعلى رأسها الوالدان اللذان يقومان بالاعتناء به من حيث تغذيته وملبسه وحمايته كبداية أولى للحياة مما ينمى عنده ثقته بنفسه وبأسرته، وكذلك تسعى لأن تعده اجتماعيا لكي يكون أحد أفراد المجتمع العام عن طريق اكتسابه تقاليد وأعراف مجتمعه بطبيعة الحال، حيث تكون أسرته قد أدمجته في الإطار الثقافي لمجتمعه، وتغرس فيه المعتقدات والقيم والأساليب يشيب عليها وتصبح من مكونات شخصيته وتعلمه الاتجاهات الاجتماعية كالتعاون والتنافس التسامح[3]. وفي هذا يرى الباحث أكرم مصباح عثمان في كتابه مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية والتحصيل للأبناء " أن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التي تضم الوالدين، والأبناء الذين يعيشون في منزل واحد، وتربطهم مجموعة من المبادئ، والقيم والعلاقات الإنسانية والمسؤوليات الاجتماعية، وهي تتولى رعاية الفرد وتهذيبه، وهي أعمق أثرا في بناء شخصيته وتكوين اتجاهاته وقيمه وأفكاره"[4].

وما يمكن قوله هنا أن الأسرة أحيانا تتعرض لأزمات وتصدعات تؤثر على علاقات أفرادها، ويتحول دور الأسرة من التعاون والتكافل والمحبة بين أفرادها إلى صراعات لا متناهية، وهذه الصراعات غالبا ما تؤدي إلى تصدع الحياة الأسرية وزوال مقوماتها وضعف وظائفها وهذا ما يؤدي إلى الطلاق ومنه إلى التفكك الأسرى.

الطلاق:

1- لغة: هو اسم بمعنى المصدر من طلق يطلق تطليقا كما في قوله تعالى { الطلاق مرتان}[5]، أي تطليق مرتان، والطلاق والتطليق بمعنى رفع الوثائق وهو حل عقدة النكاح وإزالة القيد وهذا الرفع أو الحل يتناول الرفع المادي والمعنوي، وهو مشتق من الإطلاق والإرسال أو الترك، وفلان طلق اليدين بالخير أو كثير البذل والإرسال لها بذلك[6]، ويقال عنه أنه رفع القيد مطلقا، رفع قيد الزواج الصحيح.

2- شرعا: فهو حل عقدة التزويج وهو موافق لبعض مدلوله اللغوي حيث عرفه بعض الفقهاء بأن رفع قيد النكاح في الحال والمآل بلفظ مشتق من مادة الطلاق أو ما في معناها[7].

وحسب معنى خليل عمر في كتابه علم اجتماع الأسرى فيرى بأن المراد برفع قيد الزواج، رفع أحكامه وعدم استمراره ورفع قيد الزواج الصحيح في الحال بالطلاق البائن، لأن مجرد حصول الطلاق البائن بين الزوجين لا يحل للمطلق أن يستمتع بمطلقته، ولا يستطيع أن يعيدها إلى عصمته إلا برضاها ولا يحتاج إلى مهر وعقد جديدين، والمراد باللفظ الصريح في الطلاق هو اللفظ الذي لا يحتمل غير الطلاق فيقع الطلاق به من غير حاجة إلى نية[8].

أما في علم الاجتماع فيعني بالطلاق انتهاء أو انقطاع الرباط الزواجي بين الزوجين، ولأن الطلاق مرتبط بالزواج فإنه يقع بعده، لكن ليس كل زواج ينتهي به، بل يقع عندما لا يحصل تفاهم بين الشريكين ويستحيل استمرار حياتهم الزوجية، عندئذ يكون الطلاق الحل الأفضل. إنما ثمنه غاليا ومؤلما يدفع الزوجين ثمنه النفس والعلائقي

والمادي غالبا بسبب انقطاع الروابط العاطفية والأسرية، وهي في بداية تكوينها لإيقاف المعاناة والخناقات والصراعات المستمرة بينهما[9].

أما حسب عبد الحميد رشوان فيرى بأن الطلاق هو الحدث الذي ينهي العلاقة الزوجية بين رجل وامرأة، وهو يمثل صدمة عاطفية للأولاد، وحرمانهم من مشاعر الحب والحنان فضلا عن حرمانهم من المربي والعائل كما أنه صدمة للزوجين أيضا، فقد تضعف الفرصة في زواج جديد[10].

ويرى توما جورج الخوري في كتابه سيكولوجية الأسرة بأن الطلاق يعنى انفصال الزوجين عن بعضهما البعض بحيث تنقطع الحياة الزوجية وكأنها وصلت إلى نهاية المطاف، هنا تصاب الأسرة في الصميم فيما يترك آثار سيئة سيترتب عليها مجموعة أمور سلبية، في طليعتها انحرافات سلوكية معينة لبعض أفرادها، وقد دلت الدراسات والأبحاث التي أجريت - حسب جورج الخوري- أن الأطفال يتعرضون لاضطرابات نفسية أو مرضية، كالجنوح والعدوان والأنانية والسلبية[11].

أما مسعودة كسال فتعرف الطلاق بأنه مظهر من مظاهر التفكك الأسرى الكلي وانهيار الوحدة الأسرية، وكذا انحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها والذي بموجبه تتصدع الأسرة بشكل نهائي، فينفصل الزوجين ويربى الطفل من قبل أحد الوالدين أي الطرف المتبقي معه ويحدث هذا نتيجة لتعاظم الخلافات بين الزوجين إلى درجة لا يمكن إدراكها[12].

وبعرفه مصطفى الخشاب بأنه يعني إنهاء للعلاقات الزوجية بحكم الشرع والقانون ويترتب عليه إزالة ملك النكاح[13].

أما علياء شكرى في كتابها الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة فترى بأن الطلاق باعتباره ابتكارا اجتماعيا يستخدم كوسيلة للتهرب من التوترات التي قد تنجم عن الزواج ويصعب تفاديها بأي وسيلة أخرى[14].

أما يحي أحمد عبد الحميد فيعرفه بأنه انفصال بين الزوجين تقره السلطات القضائية والشرعية، وبعد يمكن لكلا الطرفين ممارسة حياته الطبيعية، كما يمكنه ممارسة حقه في الزواج الثاني[15].

وما يمكن استنتاجه من خلال التعاريف السابقة الذكر أن الطلاق هو قطع العلاقة الزوجية وفك عقدة الزواج وهذا الفك يكون في المجتمعات الإسلامية عن طريق الشرع والقانون كما ذكرته بعض التعاريف السابقة. ولكن ما يتبع هذا الفك وحسب أيضا ما ورد في التعاريف السابقة الذكر والتي ركزت في معظمها على أنه حادثا مشئوما نتج عن بعض الخلافات والتوترات والمشاكل إلى أن وصلت إلى استحالة الحياة الزوجية، وبدأت بوادر فشل الأسرة من حيث التصدع والانهيار كلية فبعدما كان الطفل يعيش داخل أسرته وفي أحضان والديه في كنف الحب والعطف والحنان والطمأنينة، أصبح يعيش خارج هذا العطف والحنان مما تتكون لديه صدمة عاطفية وحرمانه من الحب والاستقرار وهذا ما يمنعه من التكيف السريع في حياته الجديدة أي بعد الطلاق، ويعرضه لاضطرابات نفسية أو مرضية، مما يؤدي إلى العدوان والأنانية وزجه في غياهب الآفات الاجتماعية اللامتناهية نتيجة لهذه الأنماط السلوكية السلبية والضارة بالأطفال والأسرة والمجتمع معا.

وتعتبر مشكلة الطلاق هي مشكلة أسرية والتي هي عبارة عن شكل من أشكال المشكلة الاجتماعية والتي تعرف بأنها " انعكاس حقيقي للحالة المرضية التي تصيب الأداء الوظيفي داخل النسق الأسري مما ينتج عنه ضعف المواجهة لعضو الأسرة ثم الأسرة كلها ثم المجتمع[16].

أسباب الطلاق: لاشك أن الطلاق لا يحدث إلا وكانت وراءه أسباب دفعت الزوجين إلى فك الرابطة الزوجية بينهما، وخاصة إذا اعتبرناه مشكلة اجتماعية نفسية وبالتالي تترتب عليه آثار سلبية انطلاقا من تفكك الأسرة وازدياد البغضاء

والعداوة وكذا الآثار السلبية على الأطفال منها الاضطرابات النفسية إلى السلوكات المنحرفة، وهذه الأسباب متعددة بتعدد المشاكل والضغوط التي يعيشها الزوجان ومنها:

- ✓ الكراهية بين الزوجين.
- ✓ سواء معاملة الزوج أو التعنيف الجسدي أو اللفظي.
- ✓ مرض أحد الزوجين.
- ✓ العقم.
- ✓ اختلاف درجة التعليم لدى الزوجين.
- ✓ اختلاف المستوى الاجتماعي والاقتصادي بين الزوجين[17]، وكذا انخفاضه (المستوى الاجتماعي الاقتصادي) والذي يؤثر على اتجاه الأفراد نحو الطلاق مما يؤدي بهم إلى تكوين اتجاهات موجبة نحوه[18].
- ✓ الشك والغيرة واتهام أحد الزوجين الآخر بالخيانة الزوجية وانهيارها[19].
- ✓ الزواج المبكر والذي نتج عن ضعف الخبرة العلائقية والنضج الفكري والاجتماعي لكلا الزوجين مما يعرض حياتهما الزوجية إلى إنهائها وفكها[20].
- ✓ ولعل صراع الأدوار وتغيرها يعتبر سببا هاما في الطلاق، حيث ذهب في ذلك روبرتسون Robertson إلى أن دور الزوجة في الماضي هو دور ربة البيت وتربية الأطفال ومساندتها لزوجها والذي يكون مشغولا بنشاطاته خارج المنزل بمعنى الدور التاريخي للمرأة[21]، حيث رفضت المرأة هذا الدور التقليدي والذي كانت فيه خاضعة للزوج كل الخضوع المادي والمعنوي واهتمامها بشؤون البيت وتربية الأطفال ومع التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات العربية دخلت المرأة مجالي التعليم والعمل، مما تغير كثير من الأمور لديها من تغير في دورها وتضاعفت مجهوداتها بين خدمة المنزل وتربية الأطفال وكذا العمل خارج المنزل والذي أشعرها حقيقة استقلالها الاقتصادي وتطور مركزها الاجتماعي، وشعرت بقيمتها وشخصيتها في الحياة، بحيث تكون لديها مجرى حياة مستقل ومهنة مستقلة مما يدخلها في مشاحنات زوجية يومية وهذا ما يؤدي بها إلى بداية انهيار حياتها وحياة أسرتها ومنها إلى الطلاق، وذلك بسبب إهمالها للبيت وإهمالها لزوجها وكذا إهمالها لأطفالها.
- ✓ إن حجم العائلة العصرية ومفهوم المساواة في الزواج أحدث صراعا معتبرا مع المفهوم الريفي لدور العائلة وصراع الأفكار هذا ما يلاحظ عادة في المناطق الحضرية بين جيل الكبار وجيل الشباب والذي يؤدي حتما إلى إضعاف الضبط الاجتماعي التقليدي وبالتالي يساهم في ارتفاع جنوح الأحداث[22].
- ✓ تدخل الأهل والأقارب في العلاقات الزوجية واشتراكهم في معيشة الأسرة[23]، مما يؤدي إلى توترها وتصدعها.

آثار الطلاق: مما سبق وأن أشرنا إليه من تعاريف للطلاق وأسباب وكل ما يتعلق به من تصدع وانهيار للأسرة فلابد من الإشارة إلى أن هناك الكثير من النتائج تترتب عنها منها المشكلات النفسية والاجتماعية والمادية وغيرها كانعكاسه على المقومات الأساسية للمجتمع ويمكننا الإشارة لذلك فيما يلي:

1- آثار الطلاق على الأسرة: ويؤدي الطلاق هنا إلى هدم بنيان الأسرة، وفك روابطها القوية والتي تربط بين أفرادها، حيث أنه يؤدي حقيقة إلى انفصال الزوجين ويلحق أضرار لا تحمد عقباها على الأطفال، حيث أنهم يحرمون من النشأة الطبيعية في حضن الوالدين، وأحيانا كثيرة يؤدي إلى تشردهم وانحرافهم[24]، أما هيلي Healy وبرونير Bronner فقد استخلصا من الدراسة التي قاما بها أن المشاجرات المستمرة في الأسرة من الأسباب التي تؤدي إلى الجناح وما يرتبط به من سلوك منحرف وقد أكد هيلي Healy بعد ذلك أن في كثير من حالات الجناح كانت العوامل العميقة التي تختفي وراء الخبرات الانفعالية للأطفال الجانحين تتمثل في عدم رضاهم عن العلاقات الأسرية[25].

2- آثار الطلاق على الزوجين:

- الضياع والانحراف وعدم الرضا عن النفس.
- عدم التكيف مع المجتمع.
- الخسارة المادية والمالية التي يتحملها الزوج.
- فقدان الإحساس بالأمان والصداقة والود وتتأجل عواطف الإخلاص[26].

فبالنسبة للزوج يصاب بالحزن والانعزال واليأس والإحباط، ويصاب بعدم الاتزان والاستقرار، وهروبه من مقابلة الأصدقاء وتتجه مخاوفه نحو أبناءه وهروبهم منه نتيجة تفكيره إلى اتهامه بقصوره في تحمل مسؤولياته تجاههم، وبالنسبة للزوجة، فإنها أيضا تشعر بنفس الشعور، حيث أنها تنهار نفسيا ويحصل لها انفصام بين الذات الفردية والأنا الاجتماعية عندها[27]، كما أنها تتأثر بالناحية المادية وخاصة إذا كانت المرأة غير عاملة مما يؤدي إلى انخفاض مستوى معيشتها، كما أنها تتأثر بنظرة المجتمع لها والتي تعتبر نظرة احتقارية منحطة.

3- أثر الطلاق على الأبناء: مادام الطلاق يعد صدمة قوية للزوجين فلا محالة سيصدم الأبناء وسيؤثر عليهم من الناحية النفسية بحيث تقل رعايتهم الأبوية وتتدهور صحتهم النفسية والجسمية، حيث أنهم يواجهون هذا الانحطاط بالبكاء واليأس أكثر من أي وقت مضى، مما يؤدي بهم إلى التمرد على سلطة أبويهم[28].

مما يعرضون للكثير من المآسي والضياع نتيجة اختلاف أساليب رعايتهم وفي هذا يرى محمد سلامة محمد غبارى في كتابه الانحراف الاجتماعي ورعاية المحترفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم " أن فقدان الأبوين أو أحدهما بسبب الطلاق تتبعه توترات انفعالية للأطفال مما يعرضهم للانحراف بعدما اختلفت عليهم قواعد المعاملة والتربية وسوء استخدام السلطة الضابطة وفقدان الأمن والطمأنينة مما يؤدي بهم إلى البحث عنها في أماكن أخرى غالبا ما تكون منحرفة"[29], لأن الطفل لابد وأن يعيش في جو الأسرة الطبيعي، وإذا عاش بعيدا عنها فإنه يجرم من وظائفها والتي لا تتحقق إلى من خلال التفاعل اسري بين مختلف أعضاءها وداخل ذلك التفاعل الديناميكي بين بعضها البعض، فهي ليست بثنائيات تتجمع في إطار الأسرة لتأثر في الطفل ونموه في النهاية فالطفل وأمه ثنائية، والطفل وأبيه ثنائية، والأب والأم ثنائية، جميعا تكون بمثابة تفاعلات تحدث داخل الأسرة لتؤثر في الطفل والوالدين معا[30]، وفي هذا المجال دائما نجد الباحثة الاجتماعية ميريام فان ووترز Meriam V. Waters قد حددت الواجبات الأساسية التي يتحمل البيت عبء تقديمها للطفل في قولها " إن المنزل يجب أن يكون المأوى الصالح للطفل الذي يغذي طفولته بالطمأنينة، ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر ويمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم بما في ذلك عناصر الحماية ويهيئ له الكيان الاجتماعي، ويدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدربه على التجارب مع المواقف الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة كالحب والخوف والغضب ويغذي فيه فن الحياة في مجتمع صغير – وهو الأسرة – حيث تكون فيه العلاقات الإنسانية أولية دافئة، وأخيرا فإن للبيت رسالته الكبرى في فيطام الطفل ليس عن صدر أمه في هذه المرة و إنما من الاعتماد على الآخرين بأن يتحرر من الالتصاق بالحنان والأمن الذي يجده داخل البيت حتى لا يفقد الشباب روح النضال والعمل والخدمة في مجال العلاقات الإنسانية في الخارج[31].

2 – التفكك الأسري: ترى علياء شكري في كتابها الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة بأن نمط الانفصال والطلاق والهجر يحدث التفكك الأسري بسبب قرار أحد طرفي العلاقة الزوجية، أو كليهما ترك الآخر، ومن ثم يتوقف أدائهما للالتزامات المترتبة على دورهما كزوجين[32].

وفي دراستنا هده يعتبر هذا النمط الأخير والمتمثل في الطلاق هو من أهم هذه الأنماط ومن أخطرها والتي تؤدي حقيقة إلى التفكك الأسري، لأنه يعمل على انحلال الأسرة وتفككها تماما بفعل الصراع والتصدع الذي عاشته.

تعريف التفكك الأسري: ويعرفه محمد يسرى إبراهيم دعبس في كتابه الأسرة في التراث الديني والاجتماعي بأنه انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة عندما يفشل عضوا أو أكثر في القيام بالتزامات دوره بصورة مرضية[33].

أما أحمد يحي عبد الحميد في كتابه الأسرة والبيئة فيعرف التفكك الأسرى بأنه عبارة عن رفض التعاون بين أفراد الأسرة وسيادة عمليات التنافس والصراع بين أفرادها[34].

ويعرف حسين عبد الحميد رشوان في كتابه الأسرة والمجتمع بأن التفكك الأسرى يعود إلى فشل العلاقات الأسرية وانحلالها، ويبدو ذلك واضحا في اضطراب العلاقة بين الزوجين واختلاف ثقافة وميول وقيم كل منهما عن الآخر تباين المستوى التعليمي بينهما مما يحث رغبات متصارعة ومتضاربة بين أطراف الأسرة[35].

وتعرفه ابتسام مصطفى في كتاب عبد الخالق محمد عفيفي بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة بأنه حالة عدم التوافق القائم أساسا بين الزوجين مما يؤدي إلى حدوث اضطراب في العلاقات الزوجية تعيق الأسرة من تحقيق أهدافها للحالة التي يعيش فيها الزوجان سويا مع تناقض الاتصال أو التفاعل السوي[36].

مما سيق نستنتج أن التعاريف السابقة تلتقي في نقطة واحدة وهي أن التفكك الأسرى أساسه، انهيار العلاقات الاجتماعية بين الزوجين مما يؤدي إلى تصدع الأسرة والحياة الزوجية وتفككها وتؤدي بالأطفال إلى الانحراف، وفي هذا ترى فتيحة كركوش في كتابها ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر " أن الأسرة المنهارة تهيئ للأبناء أسباب السلوك الجانح وتطويره، بحيث تكون مصدر للقلق أو الانفعالات العاطفية الشديدة التي تدفعه لتأكيد ذاته عن طريق الانتماء لجماعات جانحة فاسدة خارج بيته وعائلته وأقرانه يتعلم صحبتهم ما لم يجده في البيت، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى بعض الأبناء إلى الهروب من البيت الذي يجد فيه إلا الإهمال، اللامبالاة وعدم الأمن فيجتمعون مع أبناء آخرين وضعيتهم مماثلة ليسيروا في مسالك منحرفة"[37].

وهذا يعني أن فشل أدوار ومسؤوليات الأسرة من حيث الرعاية والاهتمام بالأطفال مما يجعلهم يلجئون إلى سبل أخرى للبحث عن ما افتقدوه في البيت، ومن هذا يبدأ السلوك المنحرف.

ومع ذكر هذه الصفات السلبية للتفكك الأسرى مثل انحلال الأدوار الاجتماعية للزوجين، وكذا رفض التعاون بين أفرادها والجو المضطرب الذي يسودها، والعجز عن توفير ما يحتاجه الطفل من استقرار وجب وكما يرى علي مانع في كتابه عوامل جنوح الأحداث في الجزائر إن العجز عن توفير ما يحتاجه الطفل من استقرار وحب يمكن أن يكون عاملا مهما في تفسير جنوح الأحداث وقد اكتشف بان آثار انفصال الطفل عن والديه في سن مبكرو وخاصة السنوات الثلاثة أو الأربعة الأولى قد تكون مضرة بسلوكه. وفي هذا المقام ركز الكاتب على دراسة قام بها العالم النفساني بولباي Bowlby سنة 1946 تحت إشراف منظمة الصحة العالمية OMS والتي بيّن فيها أن الأولاد الذين يفصلون عن أمهاتهم في السنوات الثلاثة أو الأربعة الأولى من حياتهم، غالبا ما يكونون أشخاصا بلا عطف أو حنان فهم قابلين لأن يكونوا سارقين ويضيف علي مانع أن النظرية التعليمية الاجتماعية المقدمة من طرف تريسلر Tresler تتنبأ بأن الصغار الذين يتعرضون في حياتهم للانفصال، هم أكثر قابلية لأن يكونوا جانحين وهذا بسبب الانفصال بين الأم والأب مما يؤثر على عملية التربية[38].

إن سلوك الأسرة ينعكس على الطفل منذ السنوات الأولى من حياته لأن وظيفة الأسرة هي صياغة استعداداته في نمط اجتماعي مقبول والعمل على تجنب السلوك المضاد للمجتمع، فإذا أخفقت الأسرة في تحقيق هذين الغرضين نشأت شخصية عاجزة عن التوفيق بين رغباتها وبين مطالب المجتمع الذي تعيش فيه وبالتالي فالأسرة هي التي تمنح الطفل الأمان والعاطفة وتعتبر أداة رئيسية للضبط الاجتماعي لأنها تستطيع محاربة الانحراف بشتى أنواعه كونها المصدر الوحيد الذي يمكنه أن يلقن الأفراد بجميع السمات المتمثلة في القيم والأنماط السلوكية التي يهتدي بها.

أسباب التفكك الأسرى:

1. يتم التفكك الأسرى بسبب استقلال المرأة الاقتصادي والذي يجعل أدوارها متعددة بين العمل خارج البيت وبين قيامها بواجباتها داخله، مما يبرز لديها ما يسمى باتخاذ القرار وابتعادها عن واجباتها الأسرية، وهذا ما يثير الرجل نحو تخليها عن واجباتها مما يدخلها في دوامة من الصراعات والاختلافات.
2. الفتور العاطفي بين الزوجين والذي يسوده الصمت وعدم التفاعل الإيجابي بينهما أو تنعدم الأهداف المشتركة بينهما[39]، والتي تعمل على تجمع أفراد الأسرة مما يؤدي إلى السلبية واللامبالاة.
3. عدم إنجاب أطفال أو ما نسميه بالعقم والذي يعتبر سبب أساسي في تفكك الأسرة.
4. تدخل الأهل والأقارب في حياة الزوجين[40]، وعلاقاتهما وكذا اشتراكهم في حياة الأسرة وكل ما يعنيها من أمور عامة أو شخصية مما يؤدي إلى تأزم الوضع بين الزوجين.

أنواعه:

- **التفكك الجزئي:** وتبدوا مظاهره في الانفصال المؤقت أو الهجر المتقطع[41]، بمعنى إمكانية إعادة الزوجين لحياتهما الأسرية ويستأنفان علاقاتهما في فترة إصلاح وحسب مصطفى الخشاب أنه من المستبعد أن تستقيم حياتهما الزوجية في مثل هذه الحالات، وتكون دائما مهددة إما بالانفصال أو الهجر، والذي يعني بهما ترك الحياة الزوجية والتفكير في إنهائها والتهرب من مسؤولياتها[42].
- **التفكك الكلي:** والذي يعني بانحلال الأسرة وينتهي بإنهاء العلاقات الزوجية بالطلاق، مما يترتب على ذلك العديد من الأمور السلبية منها المعنوية والمادية بالنسبة للزوجين، وكذا حرمان الأولاد من عواطف الحب العائلي، وحرمانهم من حنان وحب أحد طرفي الوالدين الأب أو الأم.

عوامله: يجدر بنا هنا أن نوضح بأن عوامل التفكك الأسرى متعددة نتيجة للتحولات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات وخاصة العربية منها، حيث هذه التحولات أبرزت إلى الوجود ملامح التفكك الأسرى وانفصام الروابط الزوجية، فبعدما كانت سيادة الأسرة التقليدية الممتدة التي تعيش في ثناياها العديد من الأفراد منهم الجد والجدة والأبناء وزوجاتهم وأولادهم وكذا بعض الأقارب، حيث كانت السلطة للرجل وحده وهو صاحب القرار في كل ما يتعلق بشؤون الأسرة الاجتماعية والاقتصادية، وكانت المرأة عنصرا ثانويا داخل الأسرة وظيفتها خدمة المنزل والإنجاب وخدمة الأطفال وزوجها وكل فرد داخل هده الأسرة.

حيث كانت القيم والمبادئ والمعايير أساس حياة هذه الأسرة، في تجسيد كل أمور الحياة داخل الأسرة من زواج إنجاب، تربية، علاقات كلها تتحدد طبق هذه القيم والمبادئ التي تجذرت في ثقافة الأسرة منذ القديم وبقيت في اللاشعور الجماعي وبالتالي يتوقف عليها التماسك الأسرى والاستقرار والاحترام المتبادل بين كل أفراد الأسرة، وكذا احترام العادات والتقاليد السائدة في المجتمع بحيث يحافظ عليها ويحترمها الجميع وكان لها تأثيرها في سير الحياة الأسرية سيرا طبيعيا، ويحترم فيه كل طرف الأوضاع القائمة ويتصرف كل فرد في أداء وحدة مشتركة بكل تعاون وتكافل وكذا اعتبارا للأهداف المشتركة التي يعمل بها جميع أفراد الأسرة[43]. وما إن برزت إلى الوجود الأسرة النووية والتي تتكون من الزوج والزوجة وعدد معين من الأطفال ظهر نوع من التغير في تسيير شؤون الحياة أساسه التحضر وحركة التصنيع وخروج المرأة لميدان العمل حيث أصبح الزوجان يتمتعان بالحرية الكاملة بعدما كانا يخضعان للمسؤولية الجماعية وكذا السلطة الذكورية، أصبح لديهما حق التصرف في كل أمور حياتهما وأصبحت المرأة تحتل مكانة مرموقة سواء داخل البيت أو خارجه، وأصبحت تحتل المكانة التي يحتلها الرجل وفي بعض الميادين تحتل مواقع متقدمة في الكثير من الميادين التي يتفوق فيها عالم الرجال وبالتالي نجد في ظل هذه الأسرة النووية الكثير من القيم والتصورات والقناعات والتي كانت محورية في تحديد عالم المرأة تم التخلي عنها، وأصبحت المرأة المتعلمة تعمل بجانب الرجل

ولها حق اتخاذ القرار في جميع ميادين الحياة، ولهذا تغير مركزها الاجتماعي وشعرت بحريتها الفكرية وأصبحت لها نفس الحقوق والواجبات مع الرجل شرط أن توفق بين عملها وبين تربية أطفالها والاهتمام بزوجها ومنزلها. ولعل في هذا المقام ومع كل هذه العوامل السابقة الذكر والتي تتناقض في بعض الأحيان مع حياة الأسرة التقليدية، وبالتالي يمكن إيعازها إلى أنها من العوامل الأساسية[44]، التي عملت على خلق مشكلات اجتماعية من خروج المرأة لميدان العمل وتغير مركزها في المجتمع وأصبح لها كيان خاص مستقل يتيح لها الفرصة في المشاركة في كل المسؤوليات وبالتالي تعددت أدوارها بين عملها داخل المنزل وعملها خارجه ومنها ظهر ما يسمى بصراع الأدوار. ونبرز في الآتي العوامل التي تؤدي إلى التفكك الأسرى والتي يبرزها محمد عاطف غيث في كتابه تطبيقات في علم الاجتماع.

والتي تجمع مجموعة من الصفات الوراثية والتي تحدد ردود انفعالية وعاطفية عند الفرد ومن ذلك يمكن إبراز مجموعة من الصفات عند الناس منها:

- ✓ هناك من يظهر اتجاهات انطوائية أو انبساطية.
- ✓ هناك من يدرك الأشياء على أساس الحواس.
- ✓ وهناك من يعتمدون في أحكامهم على التفكير والاعتماد على المشاعر وبالتالي فإن اختلاف وتشابه العوامل المزاجية بناء على العوامل السابقة الذكر فإن لا محال تعتبر من بين أنواع الصراع الذي يؤدي إلى التفكك الأسرى

2- القيم الاجتماعية: وهي مجموعة من الصفات والخصائص المرغوبة عند الزوجين، ومن المحتمل أن لا تكون هذه القيم متماثلة ومن ثم يحدث الصراع الذي يؤدي لا محالة إلى التفكك، لأن القيم هي المحدد الأساسي لأنماط السلوك في كثير من الأحيان وهي نتائج لاهتمامات الفرد والجماعة على اعتبار أنها عبارة عن مجموعة أحكام يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية واكتسبها من خلال التنشئة الاجتماعية[45]، وعن طريق تفاعله الاجتماعي في أسرته والمجتمع الذي ينتمي إليه.

3- أنماط السلوكية: وتتمثل في السمات الثقافية والاتجاهات الزوجية والوالدية الضارة، وكذلك التكوين النفسي الشاذ والاختلاف في الأنماط الثقافية، ومن هذه العوامل ما يتسبب في اضطراب الانفعالية بين الزوجين والتي غالبا ما تؤدي إلى انحلالها، وينشأ تصادم سواء بين الزوجين وبين الوالدين والأطفال، إضافة إلى ذلك التكوين النفسي الشاذ والذي يكون قد مر به أحد الزوجين في طفولتهم ومراهقتهم مما يؤدي إلى مشاكل تهدد كيان الأسرة، وهذا ما يمكن أن يؤثر على الأبناء أثناء نموهم[46]، وفي هذا المجال يرى كمال النحاس في كتاب عبد الخالق محمد عفيفي بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة بأن الأنماط السلوكية تمثل ذلك الاختلال الداخلي أو الخارجي التي تترتب على حاجة غير شديدة عند الفرد عضو الأسرة أو مجموعة الأفراد بها بحيث يترتب عليها نمط سلوكي أو مجموعة أنماط سلوكية يعبر عنها الفرد أو مجموعة الأفراد المتعاملين معه بكيفية تتنافى مع الأهداف المجتمعية ولا تسايرها[47]، وفي هذا المجال نذكر الآتي:

أ- الزوجة المسترجلة: حيث أن هذا النوع من الزوجات تحب دائما وأن يكون لها مركز القوة والصدارة في الأسرة، ويكون زوجها في المرتبة الأقل وتحاول دائما السيطرة في مجالس وتقلل من أهمية زوجها من مقاطعته في الكلام ونقده في كل أمور الأسرة مما يؤدي إلى سوء العلاقات بينهما ويتوافق الأسرى، مما يؤثر على الصحة النفسية للطفل.

ب- الزوجة الهيستيرية: وتكون الزوجة دائمة الشكوى من سوء وترددها الدائم على الأطباء نهيك عن لباسها وتصرفاتها غير اللائقين وهذا ما دفع إلى أن تكون مصدر قلق واضطراب في الحياة الزوجية مما يدفع الزوج إلى الهروب من المنزل مما يؤثر أيضا على اختلال الصحة النفسية للأفراد[48].

الخاتمة: ما دامت الأسرة هي صورة التجمع الإنساني الأول وهي الجماعة الأولية التي تكون مسؤولة فيه على الإنجاب والتطبيع الاجتماعي للجيل التالي وبالتالي فهي مسؤولة عن إشباع حاجات أفرادها من مأكل وملبس وتربية والحب والأمان إضافة إلى التعاون والتكافل حفاظا على تلك العلاقات الاجتماعية التي تتسم بالخصوصية والاستمرار لفترة طويلة على اعتبار أن أفرادها يكونون كيانا سوسيواجتماعي قائم على علاقات التزام متبادلة حفاظا على مقوماتها النفيسة والصحية والاقتصادية والاجتماعية لأنها تعمل على تماسك الأسرة وانسجامها، ولا يمكن الفصل بين أدوار الأمومة والأبوة بمعنى كلما تغيرت وظائف أحد الأبوين يتبعه تغير مباشرة في وظائف الطرف الآخر بمعنى أنه ينبغي أن تظهر أدوار الأبوين في ضوء الارتباط والتبادل الدائمين والحفاظ على مقوماتها بدل انهيارها لأن أي خلل فيها يؤدي إلى انحلال الأسرة وتفككها ويظهر ما يسمى بالأزمة الأسرية والتي تظهر هنا في هذه الدراسة متمثلة في الطلاق والذي هو عبارة عن انقطاع الرباط الزوجي بين الزوجين نتيجة لعدم تفاهمهما ومنها تنقطع الروابط العاطفية والأسرية.

والطلاق كمظهر من مظاهر التفكك الأسرى لأنه من أصعب المظاهر الأخرى كالانفصال والهجر، على أساس أنه يهدف إلى انفصال الزوجين وابتعادهما شرعا وقانونا ومنه تتهدم الخلية الأسرية وينقطع نسيجها، وتنحل وحدتها وكيانها، ويتعذر بذلك جمع شمل وحدتها وتضامنها، وانهيار الأدوار بين أفرادها وبالتالي يحدث التشتت بين أفرادها.

لهوامش

[1]- محمد عبد الهادي دكلة: المجتمع الريفي، وزارة التعليم العالية، جامعة بعد بغداد، 1979، ص 178.

[2]- غريب محمد سيد أحمد: علم الاجتماع ودراسة المجتمع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001، ص 374.

[3]- محمد مصطفى زيدان: علم النفس الاجتماعي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 111.

[4]- أكرم مصباح عثمان: مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية والتحصيل للأبناء، الجزائر، دار ابن حزم، 2002، ص 28.

[5]- سورة البقرة، الآية: 229.

[6]- عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسرى، بيروت، دار النهضة العربية، 1999، ص 99.

[7]- محمد عجاج الخطيب: نظام الأسرة في الإسلام، الكويت، مكتبة الفلاح، 1985، ص 217.

[8]- معن خليل عمر: علم اجتماع الأسرة، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000، ص 214.

[9]- معن خليل عمر: مرجع سابق، ص 215.

[10]- حسين عبد الحميد رشوان: الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2003، ص 101.

[11]- توما جورج الخوري: سيكولوجية الأسرة، بيروت، دار الجبل، 1988، ص 85.

[12]- مسعودة كسال: مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص 25.

[13]- مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، بيروت، دار النهضة العربية، 1985، ص 235.

[14]- علياء شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، القاهرة، دار المعارف، 1984، ص 231.

[15]- أحمد يحي عبد الحميد: الأسرة والبيئة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1998، ص 86.

[16]- نادية حسن أبوسكنية ومنال عبد الرحمن خضر: العلاقات والمشكلات الأسرية، الأردن، دار الفكر، 2011، ص 176.

[17]- أمال جمعة عبد الفتاح محمد: القضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة، لبنان والإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب العربي، 2015، ص 23.

[18]- رشاد علي عبد العزيز موسى: سيكولوجية القهر الأسري، القاهرة، عالم الكتب، 2008، ص 440.

[19]- معن خليل عمر: مرجع سابق، ص 223.

[20]- ثروت محمد شلبي: الطلاق والتغير الاجتماعي في المجتمع السعودي (دراسة ميدانية في مدينة جدة)، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، (د، س)، ص 87.

[21]- نادية حسن أبو سكينة ومنال عبد الرحمن خضر: مرجع سابق، ص 205.

[22]- علي مانع: جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص 37.

[23]- مصطفى الخشاب: مرجع سابق، ص 231.

[24]- عبد القادر القصير: مرجع سابق، ص 103.

[25]- مصطفى الخشاب: مرجع سابق، ص 231.

[26]- أمال جمعة عبد الفتاح محمد: مرجع سابق، ص 41.

[27]- معن خليل عمر: مرجع سابق، ص 232.

[28]- معن خليل عمر: نفس المرجع، ص 233.

[29]- محمد سلامة محمد غبار: الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2001، ص 123.

[30]- أنس محمد أحمد قاسم وآخرون: أطفال بلا أسر، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998، ص 18.

[31]- محمود حسن: مقدمة الخدمة الاجتماعية، بيروت، دار النهضة لعربية، (د، س)، ص 438.

[32]- علياء شكري: مرجع سابق، ص 229.

[33]- محمد يسرى إبراهيم دعبس: الأسرة في التراث الديني والاجتماعي (رؤية في أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة)، الإسكندرية، دار المعارف، 1995، ص 82.

[34]- أحمد يحي عبد الحميد: الأسرة والبيئة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1998، ص 86.

[35]- حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سابقن ص 99.

[36]- عبد الخالق محمد عفيفي: بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 2011، ص 262.

[37]- فتيحة كركوش: ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص 71.

[38]- علي مانع: عوامل جنوح الأحداث في الجزائر (نتائج دراسة ميدانية)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص. ص 44- 45.

[39]- عبد الخالق محمد عفيفي: مرجع سابق، ص 271.

[40]- مصطفى الخشاب: مرجع سابق، ص 231.

[41]- مصطفى الخشاب: مرجع سابق، ص 231.

[42]- مصطفى الخشاب: نفس المرجع، ص 232.

[43]- عبد الخالق محمد عفيفي: مرجع سابق، ص 285.

[44]- محمد عاطف غيث: تطبيقات في علم الاجتماع، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، 1970، ص 238.

[45]- محي الدين مختار: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 197.

[46]- عبد الخالق محمد عفيفي: مرجع سابق، ص 272.

[47]- عبد الخالق محمد عفيفي: نفس المرجع، ص 262.

[48]- عبد الخلق محمد عفيفي: المرجع السابق، ص 273.